الضاحك الباكي ابن مسرح الخليج العربي (1-3)

إسماعيل كان يطالب بإنشاء نقابة للفنانين لحماية حقوقهم

يعترف خليل اسماعيل انه فنان هاوٍ، ويؤكد انه سيظل هاوياً، وهو لا يدعي انه صاحب رسالة يسعى لنشرها ولكنه يسعى الى الصدق الفني. واذا كان كثير من الفنانين قد اطلقت عليهم القاب معينة عرفوا بها مثل سيدة الشاشة الخليجية او سندريلا او وحش الشاشة او البرنس الا انه يرفض كل هذه الالقاب ويرفض الشهرة والنجومية التي تبعده عن شريان الحياة ونبض الناس وآمالهم واحلامهم ومعاناتهم وهو يرى ان الفنان يجب ان يتوقف اذا لم يجد جديدا يقدمه او يضيف الى رصيده الفني يقول: «لدي ايمان راسخ بأن الفنان اذا شعر يوما بأنه غير قادر على العطاء فان عليه ان يبتعد عن الاضواء. ورغم النظرة التشاؤمية لدى البعض وترديد كلمات محبطة عنه الحركة الفنية وانها في انحدار وان المسرح تراجع ويترحمون على ايام زمان الا ان اسماعيل لا تغيب عن نظرته المتفائلة، وهو دائماً يرى النصف المملوء من الكوب ولا يعير النصف الفارغ ادنى اهتمام ويقول: «الحركة الفنية بخير، وما نراه الآن من كثرة العروض وانتشار شركات الانتاج يعتبر انعكاساً لنمو ورواج الحالة الفنية واذا كان هناك مسؤول عن تدهور الفن فان ذلك يقع على عاتق الفنانين انفسهم او القطاع الخاص او المسارح الاهلية بالاضافة الى عدم وجود تقنيات وافتقارنا الى الكتاب والمؤلفين». وفي موضع آخر يقول: «لا يوجد مسرح خاص ومسرح أهلي ولكن العبرة بتميز الاعمال وافضلها واجودها».

المرحوم خليل إسماعيل

مع الراحلين عبدالحسين عبدالرضا وغانم الصالح

وخليل اسماعيل يتمتع بجرأة في القول، ولا يجنح الى العبارات المخففة او التي توصف بالدبلوماسية، فهو مثلاً يقول: اعتبر من يقدم الاسفاف على المسرح او يخدش الحياء بالفاظ نابية انساناً وضيعا وهو يتحسر على اوضاع الفنانين، والمشاكل التي يتعرضون لها سواء من قبل المنتجين او بعض الجهات الحكومية، وكذلك اقتحام البعض عالم الفن دون حسيب او رقيب فالعملية الفنية تعيش في حالة من الغموض اذ لاتوجد رعاية للفنان او جهة محددة تحمي حقوقه، ولذلك يقول: «انشاء نقابة للفنانين امر في غاية الاهمية لرعاية الفنان في مرضه ووفاته، وايضا في حياته، فاذا حدثت له مشكلة يجد النقابة بجواره، وحينما تكون هناك نقابة بالمعنى المفهوم سنرى الاهتمام بالفن وبقيمة الفنان».

ولاسماعيل رؤية فلسفية او جمالية للفن، فهو يرى ان الفن هو الجمال في الحياة وهو طريق تستنير الناس به، وكل من يبدع في عمله يقال عليه فنان ومهنة التمثيل مثل مهنة الطبيب والمحاماة وغيرهما من الاعمال النبيلة السامية التي تخدم المجتمع فالتمثيل رسالة سامية اذا استغل استغلالاً صحيحاً.

وفي موضع آخر يقول: «الفن عبارة عن مرآة عاكسة للمجتمع واذا كان المجتمع يعيش التكلف في كل قضاياه فسوف ينعكس ذلك على العمل». واسماعيل لايسعى لمجرد التواجد الفني او الظهور الاعلامي، فهدفه الدائم ان يتوجه للناس ويؤثر فيهم من خلال اعماله، ولذلك يقول: لايمكن ان اسمح لنفسي ان امثل اشياء لاتصل الى الناس او تؤثر فيهم، لكن تظل الادوار الكوميدية هي عشقه فيقول: الادوار الكوميدية هي اقرب الادوار الى نفسي وان كنت احب كل الادوار.

وحول الاعمال التي تؤدى باللغة العربية وتعصب بعضهم للاداء باللهجة المحلية يرى خليل اسماعيل ان اللهجة المحلية تحد من انتشار العمل الفني وخروجه الى العالم الخارجي لصعوبة فهم هذه اللهجة على الآخرين، في حين ان الاعمال التي تمثل باللغة العربية الفصحى تصل بسرعة وتفهم في جميع انحاء الوطن العربي، وتبقى خالدة لسنوات طويلة، كما انها تسهم في انتشار الفنان في الخارج خصوصاً في المهرجانات.

ويقدم اسماعيل روشتة لكي يظل الفنان محافظاً على تألقه وتوهجه ويصل الى القمة التي تحتاج كما يقول لتضحيات كثيرة تجعل من الصعوبة المحافظة عليها خاصة مع وجود حزب اعداء النجاح ويقول: «على الفنان ألا يلتفت لمن يحاربونه لأن هذه الامور من طبائع البشر وموجودة في كل ألوان العمل في الحياة، وعليه ان يدرك الفنان ان الشجرة المثمرة فقط هي التي تقذف بالاحجار، وكلما كثر حولك المحاربون تأكد أنك تسير من نجاح الى نجاح ومن تفوق الى تفوق، لكن عليك بالتسلح والاهتمام برفع قدراتك الفنية من خلال الاطلاع الدائم ومشاهدة الاعمال الدرامية سواء كانت مسرحية ام تلفزيونية، والاحتكاك بذوي الخبرة وصقل الموهبة بالدراسة كلما امكن ذلك، والمشاركة في المهرجانات الفنية والندوات الثقافية، بالاضافة الى اختيار الادوار المناسبة التي تضيف الى رصيدك الفني كل هذه الادوات والاشياء سوف تضعك على القمة بجدارة».

ولا ينسى اسماعيل الفنانين الشباب فيقول لهم: «تمهلوا في حياتكم ولا تتعجلوا الامور بل ادرسوا كل خطوة تخطونها، وسوف يأتي كل ما تتمنوه من مال وشهرة ونجومية مادام هناك اجتهاد في العمل واخلاص له، وحافظوا على نظافة أسمائكم بين أهلكم وفي مجتمعاتكم لأن الفنان شاء أم أبى سيصبح قدوة للآخرين».

الجمهور

هناك علاقة خاصة جداً تربط الفنان خليل اسماعيل بجمهوره، فهو يحبه ويخشاه في الوقت نفسه كما يعشق الفن يقول: «رغم كل الآلام سيظل هو حبي وعشقي الأول والاخير وسيظل جمهوري واصدقائي وكل المحبين شموعاً تضيء لي الطريق وترسم في قلبي ونفسي كل المعاني الجميلة».

ورغم خبرة اسماعيل الفنية والحياتية وتقديمه لعشرات الاعمال الفنية وجرأته الشديدة في الحوار والسخرية من الآخرين ومن نفسه احياناً الا انه يصاب بالرعب والخوف في اليوم الاول لعرض أي مسرحية. يقول: «أصاب دائماً بالقلق والرعب في اليوم الاول لعرض مسرحياتي، وأشعر بأنني أقف على خشبة المسرح للمرة الاولى، وأعتقد ان الفنان الذي يخاف على مستقبله الفني وما حققه من نجاح ويخاف من جمهوره هو الفنان الناجح.

ولكن ما ان يسمع اسماعيل تصفيق الجمهور واعجابه حتى تزول الرهبة ويتلاشى الخوف ويبدأ في التجلي في أداء ادواره التي اسعد بها جمهوره لسنوات طوال وهو يرى ان الفنان كتلة من المشاعر والقلق والمعاناة، فهو في حالة قلق دائم على اعماله ومشاريعه الفنية المستقبلية، ويتساءل هل ستنجح هذه الاعمال وكيف سيستقبلها الجمهور؟ فالجمهور يشغل مساحة كبيرة من تفكيره ويعمل له الف حساب.

المسرح

يرفض اسماعيل فكرة اعتزال الفنان لأنه ليس كلاعب الكرة يحتاج الى اللياقة البدنية العالية لكي يظل في الملاعب ويمارس لعبته امام جماهيره، ولذلك يقول: «الفنان لا يعتزل، ربما يبتعد عن الساحة الفنية لبعض الوقت لأسباب صحية كما في حالتي او لأسباب خاصة اخرى خاصة به، لكن الفنان الحقيقي يظل قلبه ووجدانه متعلقاً بفنه ويتوق شوقاً لتقديم الجديد او لقاء جمهوره لقاءً حياً ومباشراً من خلال خشبة المسرح».

واذا كان اسماعيل يرى ان لكل مجال خصوصياته سواء الاذاعة او السينما او التلفزيون الا انه يرى ان هناك حالة عشق خاصة بالمسرح فيقول: «سيظل المسرح أبا الفنون، ومن خلاله أرى نفسي، وهو الذي أسهم في انتشار الكثيرين داخل الكويت وخارجها».

واذا كان البعض يهاجم المسارح الخاصة ويرى ان ضررها اكثر من نفعها لأنها تتدنى بأذواق الجماهير احياناً جرياً وراء الكسب المادي ومخاطبة الغرائز فان اسماعيل يرى ان المسارح الخاصة مهمة جداً ووجودها ضروري وهي موجودة في كل انحاء العالم، وهي تثري الساحة الفنية اذا كانت توجهاتها تخدم الناس والمجتمع اما المسارح الاهلية الاربعة فهي تشكل عصب الحركة المسرحية الكويتية، وينبغي علينا ان نحافظ على هذا الصرح الفني العظيم وهو يعتبر خشبة المسرح علاجاً معنوياً لصحته وان الامة تتراجع حينما يلتقي بالناس والجماهير انه حب متبادل بين الفنان وجمهوره.

الصداقة والوفاء

اصبحت الصداقة الحقة في زمننا هذا أمراً نادراً، وكما يقولون الصديق وقت الضيق، ففي الازمات والشدائد تظهر معادن الرجال، فالصديق المزيف يكون كظلك عندما تكون في الشمس لا يفارقك وعندما تدخل في الظلام او بمعنى آخر تقع في شدة او ازمة تبحث عنه فلا تجده وقد عانى الفنان خليل اسماعيل من بعض الصداقات المزيفة التي اختفت من حوله بعد وقوعه فريسة للمرض، وعبر عن ذلك بغضب في بعض الصحف، فقد كان يشعر بالجرح، فهل أخطأ اسماعيل في اختيار صداقاته فكان تخليهم عنه صدمة بالنسبة له، ام صبح الوفاء من العملات النادرة في ايامنا هذه؟ يقول اسماعيل عن الوفاء والصداقة: «ايام الوفاء والحب لم يعد فيها سوى رائحة الذكرى تطل علينا في برودة الواقع الفني فتشعل في نفوسنا قليلاً من الامل والذي سرعان ما يخبو من جديد تحت ضربات التطلعات الذاتية شديدة الانانية، فضياع الوفاء والصدق والحب كارثة في هذا الزمن الصعب».

وهو يحذرنا من مصاحبة الاشرار فيقول: «اياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره».

عاش خليل اسماعيل حياته يحب من حوله، فهو يرى ان الحياة جميلة رغم قصرها، حصيلتها الحب كل الحب، وتظل علاقته بالرشود علاقة صداقة من نوع فريد حيث يقول: «محمد الرشود كان وسيظل صديقي الحبيب حتى آخر العمر».

خليل إسماعيل في أحد أعماله

بوستر المسرحية الكوميدية انتخبوا ام علي

الراحل خليل اسماعيل مع النجم المصري نور الشريف في أحد الأعمال